الفرايض

ان اداء الفرايض احب الاعمال الى الله تعالى و على هذا فقد استشكل كون
النوافل تنتج المحبة ولا تنتجها الفرايض واجيب بان المراد من النوافل اذا
كانت مع الفرايض مشتملة عليها ومكملة لها ويؤيده ان في رواية ابي امامة
ابن ادم انك لن تدرك ما عندي الا باداء ما افترضته عليك اوجاب
بان الاتيان بالنوافل لمحض المحبة لا لخوف العقاب على الترك بخلاف الفرايض
وقال الفاكهاني معنى الحديث انه اذا ادى الفرايض ودام على اتيان النوافل
من صلاة وصيام وغيرهما افضى به ذلك الى محبة الله تعالى واستشكل
ايضا كيف يكون الباري جل جلاله سمع العبد وبصره الى اخره اجيب
باجوبة منها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت كسمعه وبصره
في ايثاره امري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح ومنها
ان المعنى ان كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه الا الى ما يرضيني ولا يرى ببصره
الا ما امرته به ومنها ان المعنى كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده
ورجله في المعاونة على عدوه ومنها انه على حذف مضاف اي كنت حافظ
سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك
الى اخره قاله الفاكهاني قال ويحتمل معنى اخر ادق من الذي قبله
وهو ان يكون بمعنى مسموعه لان المصدر قد جا بمعنى المفعول مثل فلان
املي بمعنى مأمولي والمعنى انه لا يسمع الا ذكري ولا يلتذ الا بتلاوة
كتابي ولا يأنس الا بمناجاتي ولا ينظر الا في عجايب ملكوتي ولا يمد يده
الا فيما فيه رضاي ورجله كذلك وقال غيره اتفق العلماء ممن يعتد

بقوله

٥٩

بقوله على ان هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتاييده واعانته
حتى كانه سبحانه تنزل نفسه منزلة الالات التي يستعين بها ولهذا
وقع في رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي قال والاتحادية
زعموا انه على حقيقته وان الحق عين تعالى الله عما يقوله الظالمون والملحدون
علوا كبيرا وقال الخطابي عبر بذلك عن سرعة اجابة الدعاء والنجح
في الطلب وذلك ان مساعي الانسان كلها انما تكون بهذه الجوارح المذكورة
وعن ابي عثمان الحيري احد ايمة الطريق قال معناه كنت اسرع الى قضاء
حوايجه من سمعه في الاستماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي
كذا اسنده عنه البيهقي في الزهد وحمله بعض اهل الزيغ على ما يدعونه
من ان العبد اذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفو من الكدورات
انه يصير في معنى الحق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وانه يفنى عن نفسه
جملة حتى يشهد ان الله هو الذاكر لنفسه والموحد لنفسه والمحب لنفسه
وان هذه الاسباب والرسوم تصير عدما صرفا وعلى الاوجه كلها
فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية
الحديث ولين سالني ولين استعاذني فانه كالصريح في الرد عليهم انتهى ملخصا وقال العلامة
ابن القيم يتضمن هذا الحديث الشريف الالهي الذي حرام على غليظ الطبع
كثيف القلب فهم معناه والمراد به حصر اسباب محبته في امرين اداء الفرايض
والتقرب اليه بالنوافل وان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير
محبوبا لله فاذا صار محبوبا اوجبت محبة الله له محبة اخرى منه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)